

# الكرامة

كرامة الوطن من كرامة المواطن

فوبيا عبد الناصر

الثلاثاء، 17 أكتوبر 2006

د. رعوف عباس

مرت الذكرى السادسة والثلاثين لرحيل الزعيم جمال عبد الناصر أثناء وجودى فى مؤتمر عقده جامعة تورنتو بكندا موضوعه "١٩٥٦ عام الأزمات بعد ٥٠ عاما - المجر والسويس". ويلاحظ أن منظمى المؤتمر حاولوا القاء الضوء على الحركة الشعبية المعادية للنظام الشيوعى بالمجر " أكتوبر ١٩٥٦" باعتبار أن العدوان الثلاثى على مصر -الذى وقع فى نفس الوقت- قدأتاح للسوفيت فرصة سحق "الثورة المجرية" ولما كان مركز مونك للدراسات الدولية بجامعة تورنتو الذى نظم المؤتمر أقيم بهبة سخيةمن ملياردير مجرى يهودى كندى ليضم شعبة للدراسات المجرية فقد حظيت المجر ببومين من أيام المؤتمر الثلاثة وخصص يوم واحد للعدوان الثلاثى، وعلى الرغم من ذلك ظل تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر وتأثير ثورة يوليو ١٩٥٢ على الأوضاع الاقليمية والدولية قاسما مشتركا فى جميع الأوراق التى قدمت بما فى ذلك ما اتصل منها بالمجر .

وقد طرحت فى المؤتمر أفكار ذات دلالات لعل أهمها ما مثله المؤتمر نفسه باعتباره تعبير عن مدى اتساع وتنظيم العمل الصهيويهودى على الصعيد الدولى ، فقد كان معظم من دعوا للحديث عن المجر من الباحثين اليهود الذين جاؤوا من هولندا شمالا الى جنوب أفريقيا جنوبا ومن المجر و"إسرائيل" شرقا الى الأمريكتين غربا ولقتصر التمثيل العربى على زميل جزائرى وعلى صاحب هذا المقال والحديث عن الانطباعات التى خرجت بها يطول ولكنى سوف أسلط الضوء هنا على ما طرحه أستاذان (إسرائيليان) من آراء وأفكار ذات دلالات هامة تتصل بواقعا الراهن، وتعطى مؤشرات هامة عن احتمالات المستقبل لوأخذناها مأخذ الجد وحاولنا استثمارها سياسيا .

شارك فى المؤتمر أستاذان (إسرائيليان) بارزان احدهما دافيد تال وهو متخصص فى العلوم السياسية، معنى بعلاقات القوى لكبرى بالصراع فى الشرق الأوسط ، قدم ورقة عن "تورط (إسرائيل) فى حرب السويس" "كذا" طرح فيها نقطة هامة جديرة بالتأمل على الرغم من ضعف الجيش المصرى فى ١٩٥٢ بل وعدم قدرة الجيوش العربية مجتمعة على إلحاق الهزيمة (بإسرائيل) إلا أن قيام ثورة يوليو أثار مخاوف بن جوريون التى زادت عندما أحبط عبد الناصر خطة تسوية "المسألة" الفلسطينية من خلال خطة "ألفا" ثم ابرام مصر لصفقة السلاح التشيكية التى خصها الباحث (الإسرائيلي) بقدر من التفصيل بين فيه كيف أن الصفقة كانت سوف تقلب ميزان القوة العسكرية لصالح العرب، ومن ثم سعى بن جوريون للتحالف مع قوة أوربية فلم يجد سوى فرنسا التى بدأ التحاور معها عام ١٩٥٤ ثم مع بريطانيا فى العام التالى، وختم دافيد تال، ورقته بأن أشد ما كان يقض مضاجع بن جوريون هو جمال عبد الناصر لأنه رأى فيه ملامح بارزة لشخصية قادرة على توحيد العرب وتقويتهم فيما يهدد إسرائيل بالفناء، لقد كان ناصر - عند بن جوريون- هو أتاتورك العرب، لذلك سعت إسرائيل إلى قطع الطريق أمامه.

أما ورقة الأستاذ الإسرائيلي الآخر " ايليا بوده " رئيس قسم الدراسات الاسلامية والشرق أوسطية بالجامعة العبرية، فقد قدمت صورة واضحة لمدى تحسب الاسرائيليين لما يبدو من دلالات ومؤشرات على خطورة عبد الناصر كرمز على الأمن القومي الاسرائيلي وهو ما يجب أن ننتبه اليه وأن نستثمره.

تداولت ورقة ايليا بوده "ناصر وأزمة السويس فى الذاكرة العربية" قدم لها الباحث باشارة الى دلالات "حرب السويس" عند العرب، فهي مؤامرة وهي "عنوان ثلاثي" وهي "انتصار لعبد الناصر" كما أن مقاومة بورسعيد جعلت منها "ستالينجراد العرب" وعد ذلك من قبيل النظرة الأحادية للأمور لأن أحدا لم ينتصر فى تلك الحرب فقد تعادلت الأطراف جميعا فى الخسارة، خسرت مصر عسكريا وماديا وأن تمت التغطية على ذلك محليا" وخسرت بريطانيا سياسيا وماديا وكذلك فرنسا بل الغرب كله نتيجة مصادرة ممتلكات الأجانب فى مصر وطردهم منها، وخسرت (إسرائيل) سياسيا بسبب تخلى الحلفاء عنها .

ولكن الغريب والملفت للنظر عند الباحث (الإسرائيلي) هو بقاء عبد الناصر وحرب السويس بصورة بارزة فى الذاكرة العربية على الرغم من كل ما بذله النظام المصرى منذ السادات حتى اليوم من جهد متميز والكلام لازال للباحث الإسرائيلي" فى طمس كل ما يؤدى الى اعلاء شأن ذكر عبد الناصر وتراثه، ويستدل على ذلك بوضع السادات ومبارك مشروع متحف عبد الناصر على الرف ، وعدم اقامة تمثال لعبد الناصر، أو تسمية شارع رئيسى باسمه حتى الآن، واسقاط اسمه من بحيرة السد العالى، وتعتمد النظام بلاز سلبيات العهد الناصرى والتوسع فى الحديث عن بطشه بالشيعيين والاخوان المسلمين .

ويعبر الباحث (الإسرائيلي) عن دهشته عندما يجد أن عبد الناصر -على الرغم من كل تلك الجهود"المباركة"للنظام المصرى - لازال ماثلا فى الذاكرة العربية وأنه على الرغم من هزيمته النكراء فى يونيو ١٩٦٧ لازال يقارن بصلاح الدين الأيوبي، وأن العرب "ويقصد هنا الجماهير العربية" يرفعون صورته فى أوقات الأزمات مثل المظاهرات التى قامت ضد حرب العراق ، ومثلما حدث فى المظاهرات المؤيدة لحزب الله "عند عدوانه على إسرائيل" .

" كذا " !

ولكن الأخطر من ذلك -والكلام لازال للباحث الإسرائيلي: 2 أن الجيل الذى لم يعيش عصر عبد الناصر من المثقفين والفنانين والشباب يتطلع الى زعيم كعبد الناصر يعيد للأمة العربية وحدتها وكرامتها مما يعنى " تدمير اسرائيل".

واختار الباحث مثلا لذلك برنامجا تسجيليا أذاعته قناة " العربية " الفضائية بمناسبة مرور خمسين عاما على السويس أذيع على حلقتين ظهرت فيه صور عبد الناصر وصوته وهو يعلن تأميم القناة، والمظاهرات التى خرجت فى بعض العواصم العربية تأبيدا ومشاهد أخرى لحرب السويس "العدوان الثلاثي" ولكن أخطر ما فى البرنامج "من وجهة نظر الباحث الإسرائيلي" هو ما جاء على لسان من ظهروا فى البرنامج من المثقفين والفنانين العرب، فقد رأى هؤلاء - على اختلاف توجهاتهم- أن ما حدث منذ خمسين عاما كان "مؤامرة غربية" ضد الأمة العربية بدأت بلحروب الصليبية ، مرورا بإقامة (إسرائيل) وصولا إلى حرب العراق، كذلك ما عبر عنه بعض المتحدثين فى البرنامج من حاجة الأمة العربية الى زعيم جديد يسترد لها مجدها ويدفع عدوان الغرب عنها .

وعلى الرغم من ذلك اننى لم أسمع عن ذلك البرنامج التسجيلي من قبل، ولم أشاهده وكان غريبا أن تقدمه " العربية " السعودية المنشأ والهوى ، إلا أن اهتمام الباحث (الإسرائيلي) بالبرنامج إنصب على مايمثله تطلع العرب "مجرد التطلع" الى زعيم قومي كعبد الناصر مما يعنى أن العرب لم يقتنعوا بجنوح إسرائيل نحو السلام وتوقيعها إتفاقية السلام مع مصر والسلام مع الأردن،

وتوقيعها اتفاقية أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية وأن العرب لا يقبلون - أصلاً - بوجود (إسرائيل) "وتلك هي الطامة الكبرى!"

ثم يبدى الباحث إندهاش (الإسرائيليين) ويزعاجهم من إنتاج فيلم "ناصر ٥٦" في مصر على الرغم من كل الجهود المباركة لطمس ذكرى عبد الناصر، ولكن المثير "للفزع" "كذا"! تلك الاقبال المنقطع النظير من الجماهير على الفيلم "خاصة الشباب" في مصر بالذات وفي غيرها من بلاد العالم العربي التي عرض فيها الفيلم، بل والتغطية الإعلامية الواسعة من جانب الكتاب للفيلم، وكذلك الاقبال المنقطع النظير على إنتاج وتوزيع أغنية "الحلم العربي" التي تعكس الحنين الى أيام عبد الناصر .

ويختتم الباحث ورقته بطرح سؤال ملح على (الإسرائيليين) هو "كيف يتم التخلص من أسطورة عبد الناصر للمحافظة على الأوضاع الراهنة في الشرق الأوسط" يقصد التمزق العربي واستمرار الأنظمة العميلة للغرب" وضمان أمن وسلامة واستقرار إسرائيل؟ وطالب بالبحث عن حل لهذه المعضلة الصعبة مشيدا - مرة ثالثة أو رابعة- بالجهود المتميزة لنظام مبارك في مصر لطمس ذكرى عبد الناصر حتى أن أحدا في مصر لا يستطيع الآن أن ينظم ندوة أو مؤتمرا عن عبد الناصر و١٩٥٦.

وقد دهش الباحث الاسرائيلي عندما استهللت تعقبى عليه بأننى نظمت من خلال مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ندوة عام ١٩٩٦ بمناسبة مرور ٤٠ عاما على العدوان الثلاثى صدرت عن المركز فى كتاب منشور، وأن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية تنظم بالاشتراك مع مركز البحوث العربية والأفريقية ندوة عن أثر أزمة السويس والعدوان الثلاثى ١٩٥٦ على الأوضاع المحلية والاقليمية والدولية "سوف تعقد بمقر الجمعية بمدينة نصر من ٤ - ٦ نوفمبر القادم" وحاول فى رده على ملاحظاتى على ورقته أن يقلل من أهمية ذلك لأنه عمل أكاديمي يجرى وراء أبواب مغلقة ولا يجذب إهتمام الرأى العام" كما أنه لا يعبر عن إهتمام رسمى "من نظام مبارك".

إن ما طرحه الباحثان (الإسرائيليان) فى مؤتمر جامعة تورنتو بكندا جدير بالتأمل ، وباهتمام القوى السياسية المعبرة عن التيار لقومى ، فإذا كان "الحلم والأمل" يفزعان إسرائيل فقد أن الأوان للتنظيم والعمل .